مجلة الدّراسات الإسلاميّة
ISSN: 2253-0894 / EISSN: 2661-7390
المجلد 09 ـــــــــــــــــــــــ العدد 02
ذو القعدة 1442هـ ـــــــــــ جوان 2021
♦ـــــ♦ـــــ♦ ص ص: 73- 103 ♦ـــــ♦ـــــ♦

من هو الذبيح عليه السلام؟ (دراسة في نطاق الآيات القرآنية)

WHO IS THE SACRIFICE?
(STUDY IN THE SCOPE OF QURANIC VERSES)

عودة عبد عودة عبد الله[1]	Odeh Abed Odeh Abdullah
كلية الشريعة - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين.	Faculty Of Shariah - An-Najah National University - Palestine
odeh74a@hotmail.com	
وليد خالد العلي	Waleed Khaled Al Ali
كلية الدراسات العليا - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين.	Faculty Of Graduate Studies -An- Najah National University - Palestine
waleed.harb1971@gmail.com	

تاريخ الارسال:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2020/12/30	2021/05/07	2021/06/30

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تقديم أدلة قرآنية جديدة حول مسألة الذبيح الذي أبهم القرآن الكريم اسمه وترك للمسلمين لذة التدبر للنص القرآني بغية تحديده، فاختلفوا قديماً وحديثاً حول ذلك، وجاء البحث ليسهم في تقليل هذا الخلاف عبر تقديم مزيد من الاستدلالات، معتمداً الاستقراء والتحليل.

1) المؤلف المُرسل: عودة عبد الله- الإيميل: odeh74a@hotmail.com

المنارة للاستشارات
ww

وخلص البحث إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأن اليهود كتموا هذه المسألة وحرفوها حسداً لهذه الأمة التي شرفها الله عزّوجلّ بنبي الإسلام ورسالته الخاتمة، وادعاءً باطلاً بأهليتهم لاستحقاق كل فضل وخير مع حرمان سواهم من ذلك. وتبين من خلال البحث أن عدم تصريح القرآن الكريم باسم الذبيح عليه السلام فيه تدريبٌ للعقل المسلم على التدبّر والبحث والاستقراء، بهدف اكتشاف المكر الخفيّ الذي ستُواجَه به هذه الأمة من قبل أشدّ الناس عداوة لها، وهم اليهود، قذفاً بحق الإسلام على باطل كفرهم فيدمغه فإذا هو زاهق.

الكلمات المفتاحية: الذبيح، اسماعيل، اسحاق، اليهود.

Abstract:

This research aims to present new Qur'anic evidence on the issue of the sacrifice whose name was not mentioned in the Holy Quran and the Qur'an has left Muslims to search and decide, so they disagreed in the past and present. The research came to contribute to reducing this dispute by providing more inferences, adopting induction and analysis. The research concluded that the sacrifice is Ismail, peace be upon him, and that the Jews kept this matter and distorted it in envy of Muslim nation that God Almighty honoured with the Prophet of Islam and the final message, and a false claim of their eligibility to deserve every virtue and good while depriving others of that. It became clear through this research that not declaring the name of the sacrifice in the Holy Qur'an is a training for the Muslim mind to contemplate and research, with the aim of discovering the hidden cunning in which the Muslims will be facing by Jews.

Key Words: Ismail, Itshaq, The Sacrifice, Jews.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن مرشدا ينير الدروب، وهادياً للتي هي أقوم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله عزّ وجلّ - بحكمته البالغة وعلمه المحيط - قد اصطفى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن خصها بخير المرسلين وخاتمهم، وبهيمنة كتابهم المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم على الكتب السماوية السابقة يصحح ما حرّفوه وبدّلوه، لأنهم خانوا الأمانة، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فاستحقوا لعنته: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [المائدة: 78]، وكان من كرامة هذه الأمة ونبيها صلى الله عليه وسلم أن ادّخر لهم ربهم اسم أمة الإسلام وسماهم المسلمين: ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [الحج: 78]. فما كان من أهل الكتاب - خاصة اليهود - إلا أن حسدوا هذه الأمة على هذه الخيرية، وكان من حسدهم أن حاولوا إلصاق كل نقص بهذه الأمة ودينها، وحرمانها من أيّ فضل، وادعاءهم

المنارة للاستشارات
ww

بأنهم أصحاب كلّ فضيلة، لأنهم وفق زعمهم الذي ردّه القرآن: ﴿أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: 18].

ولقد كشف القرآن الكريم كثيراً من دسائسهم وخياناتهم وتحريفاتهم، وترك للمسلمين باستقرائهم للقرآن الكريم وهداياته أن يكتشفوا تحريفاتٍ أخرى تعمّد القرآن أن يجعلها مبهمة ومخفية تدريباً للعقل المسلم على الاستنباط والاكتشاف عبر التدبر في هدايات الآيات القرآنية، ثم الاستعداد والتدريب على مواجهة المكر الخفي الذي سيواجههم به أعداؤهم الحاسدون. وكان من القضايا التي أبهمها القرآن الكريم، تعيين اسم الذبيح المفدّى، هل هو إسماعيل أم اسحق عليهما السلام؟ ويأتي هذا البحث في محاولة لتحديد من هو الذبيح، مضيفاً ما هو جديد لما قدّمه الباحثون قديماً وحديثاً حول هذا الموضوع، بالاعتماد على النص القرآني، واستنباط ما فيه من إشارات ودلالات حول هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق والتحرّي في الدراسات القرآنية، وجد الباحثان بعض الدراسات ذات العلاقة بهذا الموضوع، ومن أهمّها:

1. تبيين الصحيح في تعيين الذبيح، للإشبيلي المتوفى 543هـ، وهو كتاب صغير الحجم جمع فيه الأقوال وبين أدلتها وناقشها ورجح بينها.

2. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، للفراهي المتوفى 1349هـ، حيث تبنى الرأي القائل بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وناقش أدلة الفريق الآخر وفنّدها بأسلوب رصين.

3. بحث للدكتور سليمان بن صالح، بعنوان: أضواء المصابيح لكشف الذبيح. جمع فيه الأقوال السابقة وذكر أدلتها وعقب عليها. وتناول بالدراسة الأحاديث الواردة في الموضوع وخرّجها وبيّن ضعفها وأنها لا تصلح للاستدلال. وبرغم الجهد الكبير والواضح للباحث إلا أن الجديد فيه فقط هو جمعه للأقوال وترتيبه لها والتعقيب عليها.

4. بحث للدكتور سليمان الحصين، بعنوان: حديث القرآن عن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام. قام الباحث بجمع الآيات التي تحدثت عن النبيين الكريمين، واستعرض أقوال

المنارة للاستشارات

المفسرين في هذه الآيات. وبرغم أن فكرة جمعه الآيات وترتيبها بالشكل الذي قام به لم يسبق إليها إلا أنّ قضية الذبح لم تكن هي المحور الأساس للبحث.

هدف البحث:

على الرغم من أن الموضوع طرق قديماً وحديثاً واختلفت حوله الآراء ولكلٍّ دليله، فإن الهدف من هذا البحث هو:

1. السعي نحو الوصول إلى الحقيقة ومعرفتها وهو مطلب شرعي وعقلي.
2. العمل على تضييق دائرة الاختلاف في المسألة، بتقديم مزيد من الأدلة الداعمة والحجج القوية التي تدعم رأي الباحثيْن.
3. تقديم أدلة جديدة بالاعتماد على هدايات النص القرآني، وبعيداً عن الروايات الضعيفة في الحديث عن الذبيح عليه السلام.
4. إبراز الحكمة من عدم تحديد القرآن الكريم للذبيح عليه السلام.
5. تقديم صورة شاملة لقصة الذبح والفداء متصلة بقصة إبراهيم عليه السلام قبل حادثة الذبح وبعدها، وبيان علاقة ذلك بقصة الإسلام وصراعه مع الباطل.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، على النحو التالي:

- **المبحث الأول:** هدايات قرآنية جديدة تساعد في تعيين الذبيح
- **المبحث الثاني:** قصة إبراهيم عليه السلام قبل حادثة الذبح وبعدها ودلالاتها على تعيين الذبيح

والله تعالى نسأل أن يكون هذا البحث في ميزان حسناتنا يوم نلقاه، وأن يكون فيه الفائدة المرجوة.

المبحث الأول: دلالات القرآن الكريم في تحديد الذبيح عليه السلام

اختلف العلماء منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم في تعيين الذبيح إلى فريقين: فريق يرى بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام، وفريق يرى بأنه إسماعيل عليه السلام، ولكلٍّ دليله في ذلك[1].

المنارة للاستشارات
ww

والمسألة لم يصح فيها حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. يقول الإمام الطبري: "وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين لو كان فيهما صحيح لم نعد إلى غيره"[2]. الأمر الذي جعل الباحثيْن يتجهان نحو النص القرآني، ويمعنان النظر فيه، ويتدبّران في معانيه ودلالاته، للوصول إلى دلالات وهدايات قرآنية جديدة، في محاولة للوصول إلى الرأي الذي تطمئن إليه النفس، وهذا ما سيتم بيانه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: دلالة تحديد الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام على تعيين الذبيح

تعد الآيات القرآنية الواردة في سورة الصافات الوحيدة التي أشارة لقصة الذبح، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الصافات: 99- 102]. ويستنتج من خلال هذه الآيات أن الابن الأكبر والأول لإبراهيم عليه السلام هو الذبيح، فالغلام الحليم الذي بُشر به إبراهيم عليه السلام هو الذي جاء بعد دعائه، وهو الذي أُمر بذبحه لاحقاً، والدليل على أنه الولد الأول، أن "دعاء إبراهيم إنما كان حين لم يكن له ولد، وإلا لقيل له: قد وهبناك من الصالحين... فلا بد أن يكون هذا الغلام الحليم أول مولود لإبراهيم عليه السلام".[3]

وتحديد الابن الأكبر يمكن استنتاجه من خلال استقراء النصوص القرآنية التي نصت على ذكر الأخوين النبيين الكريمين عليهما السلام باسميهما في آية واحدة. حيث ذُكرا في ست (6) آيات، موجودة في أربع (4) سور. ثلاث مرات في سورة البقرة، ومرّة واحدة في كل من: آل عمران، والنساء، وإبراهيم. وفي جميع هذه المواطن يتقدم ذكر إسماعيل على ذكر إسحاق عليهما السلام، وذلك كما يأتي:

أولاً: قال تعالى: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 133].

وهذا الترتيب جاء على لسان أولاد سيدنا يعقوب عليه السلام، وبما أن سيدنا إسماعيل عليه السلام، ليس من آباء أبيهم (يعقوب) بل هو عمه، فإن السؤال: لمَ قدّموا

المنارة للاستشارات
ww

شقيق جدّهم على جدّهم؟! مع أنه في تعداد الآباء كان يمكن أن يذكروا الآباء الفعليين (إبراهيم وإسحاق) عليهما السلام، ثم يضيفوا (إسماعيل) عليه السلام لاحقاً. لكنهم إذ لم يفعلوا فإنهم قصدوا من هذا الترتيب أمراً، فهل من تفسير آخر سوى أن سيدنا إسماعيل هو الأكبر سناً من سيدنا إسحاق عليه السلام فقدّموه؟! ولو افترضنا أن القرآن الكريم لم ينقل نصّ ما قالوه تماماً بل نقل معناه[4]، فأن يأتي القرآن ليعيد صياغة قولهم بأسلوبه وطريقته، فيعيد ترتيب الأنبياء كما هو في الآية لا كما ذكروه، فإن لذلك دلالة أكبر على أن تقديم سيدنا إسماعيل عليه السلام على أخيه إنما لأنه الابن الأكبر.

ثانياً: قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 136]. والملاحظ هنا أن الأنبياء عليهم السلام جميعاً مرتبون زمنياً بدءاً بالأقدم.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿**أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: 140] . والأنبياء عليهم السلام هنا أيضاً داخل الأسرة الواحدة مرتبون زمنياً.

رابعاً: قال تعالى: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**)) [آل عمران: 84]. وهنا أيضاً جميع الأنبياء عليهم السلام مرتبون زمنياً.

خامساً: قال تعالى: ﴿**نَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾ [النساء: 163]. والأنبياء عليهم السلام هنا أيضاً داخل الأسرة الواحدة مرتبون زمنياً.

سادساً: قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾ [إبراهيم: 39]. وفي هذه الآية أيضاً تقدّم ذكر إسماعيل على إسحق عليهما السلام.

وهكذا فالسياق القرآني متناغم ومنسجم في الدلالة إلى أن الابن الأكبر لسيدنا إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل عليه السلام، فقد تقدّم ذكره دائماً في كلّ الآيات القرآنية التي

المنارة للاستشارات
ww

ذكرا فيها معاً. وهذا يعني أنه الغلام الذي بشر به بعد دعائه أن يرزقه الله الولد، فيكون هو الذبيح الذي أشارت له سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات: 101- 102].

المطلب الثاني: دلالة صفات النبيّيْن الكريميْن في القرآن الكريم على تعيين الذبيح

جاءت صفات إسماعيل عليه السلام في القرآن في المواضع الآتية:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا)) [مريم: 54]. وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85]. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 48]. فقد وصف القرآن الكريم إسماعيل عليه السلام بأنه: صادق الوعد، ورسول نبي، ومن الصابرين، ومن الأخيار.

أما صفات إسحاق عليه السلام في القرآن، فقد وردت في المواضع الآتية:

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: 84]. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 50]. وقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: 112]. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ* إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ* وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: 45 - 47]. فقد وصف القرآن الكريم إسحاق عليه السلام بأنه: محسنٌ، وله لسان صدق، ومن الصالحين، ومن أولي الأيدي والأبصار، ومن المصطفين الأخيار.

وبتتبع صفات النبيين الكريمين عليهما السلام في القرآن الكريم، يلاحظ بأن إسماعيل عليه السلام وصف بأنه: (صادق الوعد) و(من الصابرين)، بينما لم يوصف إسحاق عليه السلام بهذين الوصفين، مع عديد الصفات التي اتصف بها.

وبالعودة لقصة الذبح كما وردت في سورة الصافات، يمكن تخيل الصبر اللازم لموقف كهذا، حتى كان حرياً لمن يصمد فيه أن يوصف بالصبر، وأن يكون الصبر صفته وعلامته البارزة. وهو ما وصف به إسماعيل عليه السلام في سورة الأنبياء، فلو كان إسحاق عليه

المنارة للاستشارات
ww

السلام صاحب ذلك الموقف المصابر لوجدنا في القرآن الكريم ما يشير إلى ذلك، إذ ذكر له صفات أخرى لا علاقة لها بتلك القصة وفصولها.

ومثل ذلك القول في (صدق الوعد)، فالغلام الذبيح وعد أباه أن يصبر ووفى بوعده. فكان إسماعيل عليه السلام حرياً بهذا الوصف في ذلك المشهد العظيم.

ففي وصف إسماعيل عليه السلام بالصبر وصدق الوعد، دون إسحاق عليه السلام، دلالة على أن إسماعيل عليه السلام هو ذلك الغلام الذبيح المفدى الذي لم يذكره القرآن الكريم صراحة، وترك لنا لذة البحث والتدبر والتأمل للوصول إلى هذه الحقيقة.

وثمة قضية أخرى في صفة الغلام الذي بُشِّر به آلُ إبراهيم عليه السلام عند زيارة الملائكة، وهي صفة العلم، قال تعالى: ﴿**قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾ [الحجر: 53] وقال تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**﴾ [الذاريات: 28]. وفي سورة هود بين القرآن الكريم هذا الغلام العليم، قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ**﴾ [هود: 71]. أما الغلام الحليم المبشر به في سورة الصافات والذي سيؤمر بذبحه لاحقا فظل مبهماً يحتاج إلى بحث واستنباط. فمَن مِن ولدي إبراهيم عليه السلام صاحب صفة الحلم التي سيكون صاحبُها هو الذبيح؟ أما وقد استبان أن إسماعيل عليه السلام هو صاحب صفة الصبر، ألا يرى المتأمل التلازم بين الصبر والحلم. وأن الحليم صبور، والصبور حليم؟! وهل يكون الصبور إلا حليماً؟! والحليم إلا صبوراً؟! ألا أنهما صفتان متلازمتان لا تنفكان.

وهكذا يمكن الاستنباط من صفات النبيين الكريمين الواردة في القرآن الكريم، أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

المطلب الثالث: دلالة التناسق العددي في الآيات القرآنية على تعيين الذبيح

الأعداد في القرآن الكريم تأتي وفق تقدير محكم، ولا تأتي اعتباطاً أو مصادفة، ومن هنا فقد حاول الباحثان من خلال هذه القضية الوصول إلى نتائج تساعد في ترجيح أحد القولين على الآخر. وذلك تحديداً من خلال النظر في عدد مرات ذكر النبيين الكريمين عليهما السلام في القرآن الكريم، وعدد السور والآيات التي ذكرا فيها، وعدد البشارات التي بُشرا بها.

المنارة للاستشارات
ww

أولاً: دلالة عدد مرات ذكر إسماعيل وإسحق عليهما السلام (بالاسم أو الصفة) على تعيين الذبيح

سينظر الباحثان هنا في عدد مرات ذكر النبيْن الكريميْن في القرآن الكريم، مع ملاحظة الآيات والسور التي ذكرا فيها، وإن كان لذلك أية دلالة في تعيين الذبيح. ويشمل ذلك الاسم والصفة. أما الاسم فيدل صراحة على صاحبه، غير أن ثمة اختلافاً في دلالة الصفة في سورة الصافات، وهي السورة التي تحدثت عن الذبح، فمن هو (الغلام الحليم) في هذه السورة؟ هل هو إسماعيل أم اسحق؟ وفي المقابل فإن صفة (الغلام العليم) واضحة الدلالة على إسحق عليه السلام. لذلك سيتم تأخير سورة الصافات وإخراجها من حساب العدد (مؤقتاً) ثم استقراء النتائج، ومشاهدة أي الاحتمالين هو الذي يلائم النسق العددي القرآني، اعتبار (الحليم) إسماعيل أم إسحق عليهما السلام؟.

توجد ست آيات ذكرت اسم النبيين الكريمين معاً في الآية نفسها وذلك في أربع سور، لذلك كانت هذه الآيات أيضاً خارج عملية العدّ والحساب، فالاسمان متساويان في عدد مرات الورود، فهذه الآيات وسورها لا تقدّم ولا تؤخرّ في عملية العد والحساب، فالبحث يبحث عن الفروق في عدد مرات الذكر، لذلك اتجه الباحثان للعدّ في الآيات التي انفردت بذكر أحد النبيين الكريمين عليهما السلام. وكانت النتائج كما يلي -باستثناء سورة الصافات- حيث سيتم ذكرها لاحقاً[5]:

- ذكر إسحق (بالاسم) منفرداً دون ذكر أخيه: مرة واحدة في سور: الأنعام وهود ومريم والأنبياء والعنكبوت و(ص). ومرتين في سورتي: يوسف والصافات.
- وذكر إسماعيل (بالاسم) دون ذكر أخيه: مرة واحدة في سور: الأنعام ومريم والأنبياء و(ص). ومرتين في سورة: البقرة.

إذاً قد ينفرد النبي بالذكر بالاسم دون ذكر أخيه مرة واحدة أو اثنتين في السورة القرآنية الواحدة. ولا يوجد حسب الاستقراء العددي لكل النص القرآني أكثر من ذلك. وهكذا فالنسق القرآني يشير إلى أنه لم يرد ذكر أحد النبيين الكريمين ثلاث مرات باسمه أو صفته أو كليهما في سورة واحدة، وأن الحد الأعلى هو انفراد أحد النبيين بالذكر مرتين في السورة دون ذكر أخيه.

المنارة للاستشارات
ww

وبالانتقال إلى سورة الصافات، فمعلوم أن اسم إسحاق عليه السلام ورد فيها مرتين، في الآيتين (112، 113). ومعنى أن يكون (الغلام الحليم) المبشر به في سورة الصافات هو إسحق، خروج سورة الصافات عن النسق القرآني، فينفرد أحد الأخوين بالذكر ثلاث مرات. لكن معنى أن يكون (الغلام الحليم) هو سيدنا إسماعيل عليه السلام، أننا سنظل ضمن النسق العددي القرآني، لذلك كان الاستنتاج من خلال الاستئناس بالتناسق العددي أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

ثانياً: دلالة عدد البشارات التي بُشر بها النبيان الكريمان على تعيين الذبيح

في هذه المرة سنخرج من عملية العد السور التي أفردت أحد النبيين في آية، وأفردت الآخر في آية أخرى وهي (الأنعام ومريم والأنبياء و(ص))، حيث ورد فيها اسم كل من النبيين مرة واحدة كلاً في آية. وستبقى ضمن عملية العد السور التي انفرد ذكر النبي (باسمه) دون ذكر أخيه، أما الصفة فستكون في الشق الثاني من المقارنة.

- إسحق عليه السلام: انفرد مرة واحدة في (هود والعنكبوت)، ومرتين في: (يوسف والصافات). المجموع = 4 سور.
- إسماعيل عليه السلام: انفرد مرتين في (البقرة). المجموع = سورة واحدة .

الملاحظ: انفراد إسماعيل في سورة واحدة، مقابل انفراد إسحاق في أربع سور. أي أن النسبة 1: 4 (1 إلى 4).

(إسماعيل عليه السلام (1) سورة / إسحاق عليه السلام (4) سور)

أما فيما يخص البشارات، فقد ثبت أن إسحق عليه السلام بشر به بالصفة، مرتين: في سورتي الحجر[6] والذاريات[7]، وبشر به بالاسم، مرتين كذلك، في سورتي: هود[8] والصافات[9]. وهذا لا خلاف فيه، فإذا تم استثناء بشارة الصافات (غلام حليم) على اعتبار أنها محل خلاف، فإن مجموع البشارات التي بشر بها إسحاق عليه السلام يكون أربع (4) بشارات.

وبالذهاب لبشارة الصافات: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات: 101] فإذا تم الافتراض أن البشارة خاصة بإسحق عليه السلام، أصبح مجموع البشارات يساوي (5)

المنارة للاستشارات
ww

خمس بشارات، وهذا الرقم لا يحمل أي مدلول. ولكن عندما تكون البشارة خاصة بإسماعيل عليه السلام، سيصبح عدد البشارات كما يأتي:

إسماعيل عليه السلام بشارة واحدة، وإسحاق عليه السلام أربع (4) بشارات، وهنا يظهر التناسق المحكم!!

(الانفراد: اسماعيل = 1 سورة / مقابل: إسحاق = 4 سور)

(البشارات: إسماعيل =1 بشارة / مقابل: إسحاق = 4 بشارات)

ألا ترى هذا التناسق والتناغم والانسجام البديع؟! يُفرد إسماعيل عليه السلام بالذكر دون ذكر أخيه منفرداً في سورة واحدة فيبشر به مرة واحدة. ويفرد إسحق عليه السلام بالذكر دون ذكر أخيه منفرداً في أربع سور فيبشر به أربع مرات!!

ولئن اعتبر أحد ما هذا من قبيل المصادفات، فإن الباحثيْن لا يريانه إلا كمال الإعجاز والدقة والإتقان الذي لا يمكن أن يصدر إلا عن الحكيم الخبير. وهكذا يشير التناسق العددي في عدد مرات الورود وعدد البشارات إلى تأكيد النتيجة التي تم ترجيحها، وهي أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

المطلب الرابع: هاجر وسارة، ودلالة الإخفاء والإظهار على تعيين الذبيح

معلومٌ أن القرآن الكريم حين يظهر أمراً أو يخفيه فإن ذلك يكون لحكمة بالغة، وبتدبر قصة الذبح والآيات المرتبطة بها، وتلك المتعلقة بالنبيين الكريمين عليهما السلام، لفت انتباه الباحثيْن أن القرآن الكريم لم يأتِ على ذكر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام لا تلميحاً ولا تصريحاً، وهذا دفع للبحث والتساؤل، وقاد إلى ملاحظة ما يأتي:

ذكر القرآن الكريم مشاعر سارة عندما بُشرت بإسحاق عليه السلام وهي العجوز العقيم، وصوّر حركتها وردة فعلها، ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيب**﴾ [هود: 71 - 72].

المنارة للاستشارات

أمّا السيدة هاجر فلم يأت القرآن الكريم على ذكرها أبداً[10]، ولا حتى على لسان زوجها أو ابنها عليهما السلام. مع أن حادثة الذبح أمر جلل، خاصة على قلب الأم التي سيذبح ولدها. أتراها كانت ميتةً عند ذلك الحدث الصعب؟! وبفحص هذا الاحتمال يمكن القول:

إن كانت سارة هي أم الذبيح، فيستبعد احتمال موتها لأنها بشرت بإسحاق ومن ورائه يعقوب، فكيف ستموت قبل أن تراه. وإن كانت هاجر هي أم الذبيح، فإن الحديث الصحيح في البخاري يؤكد أن موتها كان بعد زواج إسماعيل عليه السلام[11]، فضلاً عن أنه يصعب أيضاً تصوّر أن يترك إبراهيم عليه السلام ابنه الغلام وقد ماتت أمه وحيداً عند قوم أغراب. وما دام احتمال الموت لم يعد قائماً، فما هو سبب عدم ذكرها؟

الملاحظ أن هذا الأمر منسجم مع حديث القرآن الكريم عن هاجر، فلقد أخفى القرآن الكريم ذكرها في حادثة الذبح، كما أخفاه سابقاً في حادثة زمزم، حيث تركها زوجها وحيدة بوادٍ غير ذي زرع وطفلها يصارع الحياة بحثاً عن قطرة ماء. فلم يذكر القرآن هاجر ولو بالتلميح. بالتأكيد ثمة ما يجب البحث عنه بشكل أعمق في الحكمة من ذلك، لكن فيما يخص البحث فقد لاحظ الباحثان التناغم والانسجام، فقد أبهم القرآن الكريم ذكر الذبيح، كما أبهم ذكر أمّه أيضاً، فلم يأتِ على ذكرها لا يوم ولدته، ولا حين تفجر الماء من تحت قدميه، ولا حين أراد أبوه أن يذبحه.

وبإمساك هذا الخيط الواصل بين الإخفاء والإبهام في انسجام وتناغم يليق بروعة القرآن، ولا يتأتّى لسواه، تجدنا أكثر ارتياحاً لتدعيم الرأي الذي تمّ ترجيحه سابقاً، وهو أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

المطلب الخامس: دلالة سورة الصافات وسياقاتها على تعيين الذبيح

في هذا المطلب سيتم ترتيب الاستنتاجات السابقة، لرؤية انسجامها التام وتناسقها المذهل مع سياق سورة الصافات وهي تتحدث عن قصة الذبح، فيتم التأكيد على ما تم التوصل إليه من استنتاجات.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى**

المنارة للاستشارات

قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: 99- 113]

وبتأمل هذا النظم المنسجم في سياقه وسلاسته وكيف ترتبط كل حلقة فيه بأختها في سلسلة متناغمة الحلقات والمشاهد." فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير"[12]. يمكن رسم المشهد كما يأتي:

هذا النبي الكريم خليل الله إبراهيم عليه السلام وبعد سلسلة من الابتلاءات تنتهي بمحاولة إحراقه، وهو هو ثباتاً وإيماناً ويقيناً، يهاجر مع زوجته، فيشعر بالوحدة فيناجي ربه، فيستجيب الله عزّ وجلّ ويبشره بهذا الغلام الذي سأله، وبعد فترة من الزمن، يرزق به وحيداً على كبر، فيأمره ربه عزّ وجلّ أن يتركه وحيداً مع أمه هناك بوادٍ غير ذي زرع عند البيت الحرام، حيث لا حياة، فيناجي من جديد: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** [إبراهيم: 37]، وتنشأ العلاقة الحميمة بين الأب وولده البكر الذي فجّر الله تحت قدميه زمزم كرامة له، وإشارة إلى استجابة دعوةِ أبيه. وبين الحين والحين يأتيه ويزوره ويرعاه[13]. ويزداد التعلق بين الأب الكبير البعيد والولد البكر الوحيد، حتى إذا بلغ السعي وصار قادراً على مساعدة أبيه غلاماً يافعاً، يأمر الخليل خليله بذبح وحيده عبر رؤيا يؤولّها ويصدّقها، فيكون الابن الصالح عند حسن ظن أبيه، في موقف لا يثبت فيه إلا حليم صبور: **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾**، ويستسلم المؤمنان العابدان عليهما السلام لأمر الله: **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾**. فكان الفداء من رب العالمين بعد النجاح في هذا الامتحان: **﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾** .

وليس هذا فحسب، ألست قد جدت بفلذة كبدك وبكرك ووحيدك؟ حسناً سنهب لك نافلة وشيئاً لم تطلبه، لكنها هبة نافلة على هذا النجاح الباهر: سنهبك أخاً له من زوجك

المنارة للاستشارات

العقيم. وليس هذا فحسب بل سيكون نبياً، وليس هذا فحسب بل سيكبر ويتزوج وسترون ولده يعقوب. فلئن كانت نافلة الهبة أو هبة النافلة من المعطين عطاءً واحداً، فهي من أكرم الأكرمين: هبات متعددة في هبة واحدة وعطاءات في عطاء؛ غلام على مزيد كبر من أمٍّ عقيم، ونبيٌّ، وحفيد منه. ألستم قد وهبتم- لله الحياة- فعطاؤكم منه حياة وحياة: حياة من موت العقم والكبر، وحياةُ روحٍ بالنبوة، وحياة بعد حياة بالحفيد.

أليس هذا هو سياق الآيات ونظمها؟! ألا إن الخروج عن هذا تكلف وإخراج للنظم القرآني عن سياقه وتناغمه. فكأننا بإزاء لوحة نزعت منها قطعة ما، ثم جاء من وضع قطعة أخرى من لوحة أخرى فلن يجد إلا التنافر وعدم الانسجام. إلا أن يضعها هي لتبدو بكمالها وجمالها. وهكذا هدانا الاستقراء للنص القرآني إلى هدايات وإشارات جديدة ترجح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

المبحث الثاني: قصة إبراهيم عليه السلام قبل حادثة الذبح وبعدها ودلالاتها على تعيين الذبيح

وجد الباحثان عبر استقراء النص القرآني أن في بعض مشاهد قصة إبراهيم عليه السلام قبل حادثة الذبح وبعدها، إشارات موحية تساعد على تعيين الذبيح، وسيتم عرضها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: بشارة الملائكة لآل إبراهيم عليه السلام ودلالة لفظ (البشرى) على تعيين الذبيح

أخبر القرآن الكريم أن الملائكة في طريقهم لإهلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام مروا على إبراهيم عليه السلام، متنكرين في صورة ضيوف، وبشروه حينها وزوجه بولادة إسحاق ويعقوب عليهما السلام. وقد ذكر القرآن الكريم القصة في أربع سور، سيتم نقل آياتها كاملة، للتدقيق في مشاهد تلك الزيارة وما حدث فيها بالضبط.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَاوَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ * فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ**

المنارة للاستشارات

مُنِيبٌ * يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [هود: 69 - 76]

قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الحجر: 51 - 60].

قال تعالى: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ * قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت: 26- 32].

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الذاريات: 24 - 30].

ومن خلال هذه الآيات يمكن الاستنتاج بسهولة تسلسل الأحداث في هذا المشهد، وربما يكون في هذا الترتيب بعض الاختلاف تقديماً وتأخيراً عمّا جرى على وجه الحقيقة:

المنارة للاستشارات
ww

- جاءت رسل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام بالبشرى، "والباء في البشرى للمصاحبة لأنهم جاؤوا لأجل البشرى، فهي مصاحبة لهم كمصاحبة الرسالة للمرسل بها"[14]، أي أن هدف الزيارة هو البشرى.
- جاء الملائكة على صورة ضيوف متنكرين.
- أسرع سيدنا إبراهيم عليه السلام لإحضار عجل مشوي قدّمه لهم. ولم يخبرنا القرآن إن كان ثمة حواراً قد حدث خلال ذلك حتى أحضر الطعام لضيفه.
- عندما لم تمتد أيديهم إلى الطعام خاف.
- طمأنته الملائكة. وهنا دار حوار تضمّن:
  أ. أخبروه أن مهمتهم هي إهلاك قوم لوط عليه السلام.
  ب. بشروه بغلام عليم.
  ج. بشروا زوجته كذلك بولد، وبولد ولد.
  د. عندما استغربا حاورتهما الملائكة وذكّرتهما بقدرة الله.
- بعد أن ذهب الروع عنه عليه السلام، وجاءته (البشرى) التي جاؤوا يحملونها له أساساً، إذ قدموا إليه لتبشيره بها، هنا بدأ يجادل خوفاً على قوم لوط عليه السلام وعليه.

وهذا رسم توضيحي كما تحكي الآيات، يتبعه بيان معنى البشرى التي جاءت بها الآيات القرآنية:

المنارة للاستشارات
ww

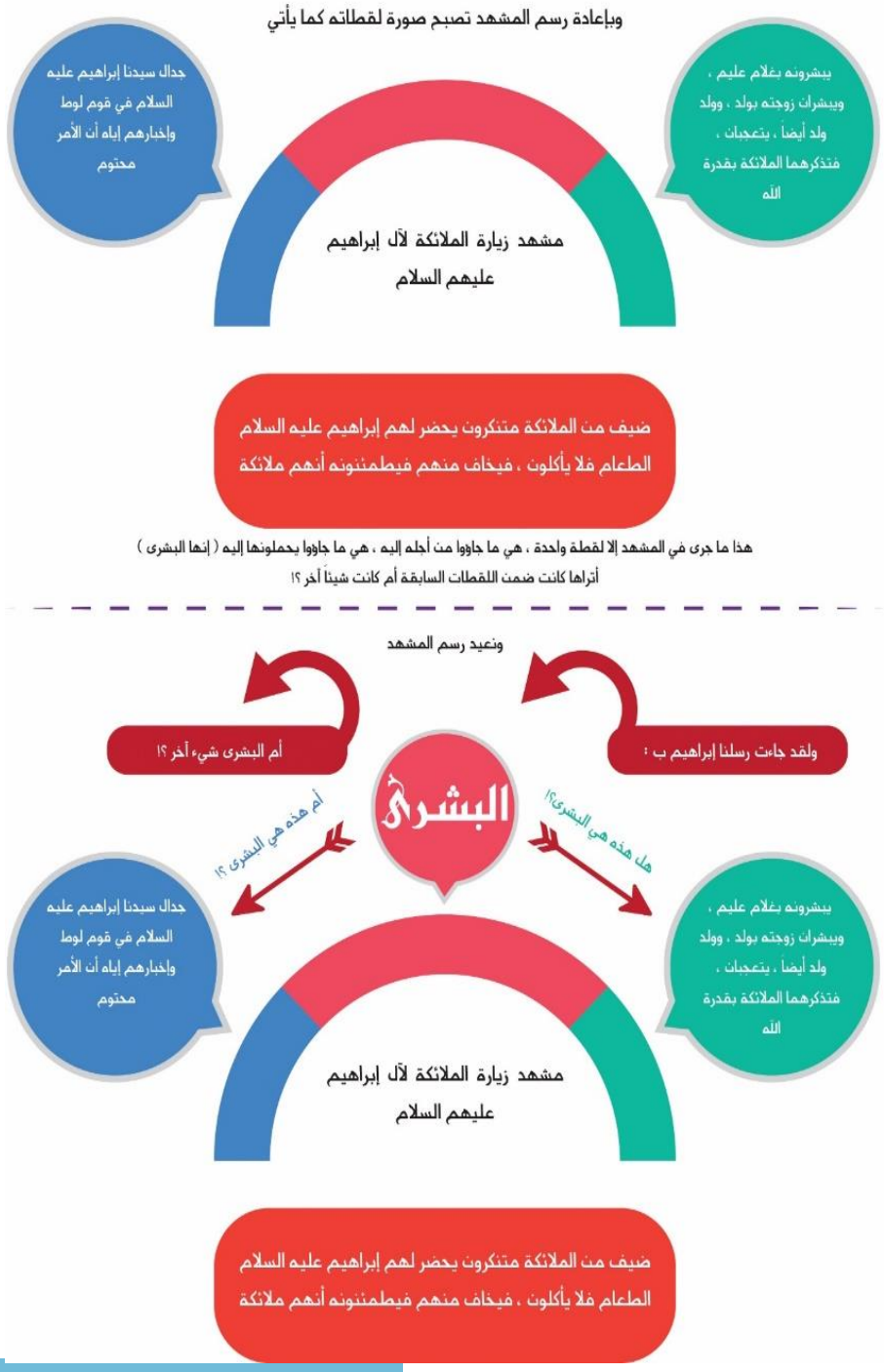

المنارة للاستشارات
ww

أولاً: معنى البشرى في كتب التفسير

بعد الاطلاع على معظم التفاسير، فإن الغالبية من المفسرين يحصرون معنى (البشرى) في أمرين، هما[15]:

- إهلاك قوم لوط عليه السلام وإنجائه أو كلاهما مع ترجيح الاحتمال الأول.
- البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام.

والحقيقة أن هذين القولين بحاجة لمناقشة:

أما **القول الأول** فإنه يبدو متعارضاً مع ما يدل عليه ظاهر الآية القرآنية في سورة هود، ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ**﴾ [هود: 74]. فالآية تدل على أن إبراهيم عليه السلام لم يسرّ عندما أخبروه بأمر إهلاك قوم لوط، بل قام يجادلهم في ذلك. وهذا طبيعي تماماً، فهو النبي الذي كذبه قومه ولم يؤمن له إلا لوط عليه السلام، وقد ذهب لدعوة قومٍ آخرين، وهو النبي الرقيق صاحب القلب الرحيم، القائل: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [إبراهيم: 36]. فكيف تكون هذه هي البشارة؟ وإنما تكون البشارة للشيء الذي تتمناه النفس وتحبه وترغب فيه.

وأما **القول الثاني**، وهو البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، كما رجح معظم المفسرين، فهو قولٌ حريٌّ بالمناقشة أيضاً. فإبراهيم عليه السلام كان قد رزق بالولد الذي دعاه، ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات: 101] ولم يكن ينتظر بشارةً من هذا النوع، فكأنما انصرف عن ذهنه التفكير فيه. ترى- والحال هكذا- أتستحق البشارة بولد جديد حتى لو كان نبياً، كلّ هذا الاحتفاء؟! أن تأتي الملائكة بشكل خاص تحمل له هذه (البشرى): ﴿**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى**﴾ [هود: 69]، بهذا التفخيم الذي يشير إليه التعريف في لفظ (البشرى)؟!

لقد نادى سيدنا زكريا عليه السلام ربه نداء خفياً، وبكل الرقة والمناجاة والتوسل والرجاء: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾ [مريم: 4 - 6]، ولم يزد القرآن على قوله: ﴿**إِنَّا نُبَشِّرُكَ**﴾ [مريم: 7] ﴿**أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى**﴾

المنارة للاستشارات

[آل عمران: 39]. هكذا بصيغة الفعل. بل إن إبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يرزقه الولد- على كبر ووحدة- وحين لم يكن ثمة ولد، فلم يزد القرآن على أن قال: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾ [الصافات: 101]. فإذا كان هناك احتفاء وبشارة كبرى فبالولد الأول لا الثاني. وهكذا فإن هذا التفسير لا يسلم من مناقشة أيضاً، فما معنى (البشرى) إذاً؟.

ثانياً: التفسير الذي يراه الباحثان لمعنى (البشرى) التي جاءت تحملها الملائكة

الذي يطمئن إليه الباحثان -والله أعلم- أن البشرى هنا: هي البشرى الكبرى من الله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام أنه قد نجح في الامتحان بكل مراحله. بدءاً من قصة الأصنام وتحطيمها، والولاء والبراء، مروراً بتجربة الإلقاء في النار، ثم إسكان الذرية بوادي غير زرع، إلى امتحان (البلاء المبين) بذبح الولد، حيث أعلى نقطة في منحنى هذا الابتلاء. وفي كل ذلك كان النجاح التام لإبراهيم عليه السلام، بشهادة الله عز وجل: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾ [البقرة: 124]. فجاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام بهذه (البشرى) التي هي (البشرى) الحق ولا سواها- مهما عظم من بشريات الدنيا- يمكن أن يستحق هذا الوصف. والدليل على هذا الاستنباط ما يأتي:

(1) بتتبع لفظ (البشرى) في القرآن الكريم، فإنه لم يرد بصيغة الاسم معرفاً هكذا إلا في خمسة مواضع، ثلاثة منها: البشرى التي حملتها الملائكة لسيدنا إبراهيم عليه السلام[16]. وفي سورة يونس: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس: 62 - 64]، وفي سورة الزمر: ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**﴾ [الزمر: 17]. أما البشرى الأخيرة في سورة الزمر فواضح أنها البشرى بالجنة[17]. وبخصوص معنى البشرى في الحياة الدنيا في سورة يونس فلقد عدّ المفسرون[18] عدة احتمالات منها: الرؤيا الصالحة، والثناء الحسن والذكر الحسن، والبشرى بالجنة عند الموت، مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصلت: 30 - 32].

المنارة للاستشارات

والحقيقة أنه تحدث بشارات كثيرة للمؤمن في الدنيا، لكن البشارة الحقة، التي هي مطلق البشارة وكأنه لا بشارة سواها هي البشارة بالجنة والنجاح في امتحان الدنيا. وهذا يتماشى مع آية فصلت تماماً. وهكذا فإن البشارة (اسماً معرّفاً بأل) جاءت بمعنى بشارة الجنة والآخرة، لا بأية بشارة تتعلق بنعيمٍ من نعم الدنيا. وما دام أن البشرى (اسماً معرفاً بأل) جاءت في السياق القرآني ضمن بشريات الآخرة بالفوز بالجنة، فإن هذا يشير إلى أن (البشرى) التي جاءت تحملها الملائكة لإبراهيم عليه السلام هي في ذات السياق الأخروي المرتبط بالفوز بالجنة نتيجة اجتياز اختبار الدنيا بإحراز النجاح التام.

(2) إن الجرس الموسيقي المنبثق من المد المتصل، والذي يمدّ ست حركات في لفظة (جاءت، وجاءته) التي سبقت لفظ (البشرى) في سورتي هود[19] والعنكبوت[20]، ليلقي بظلال الاحتفاء القريب من فرحة المؤمن بالجنة حين يأخذ كتابه بيمينه: ((فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ)) [الحاقة: ١٩] فالمشهد تصوير لأعظم فرحة للإنسان، فاستدعى هذا التعبير الموحي، حتى في جرسه وموسيقاه، بله لفظه ومعناه.

(3) التعبير القرآني بلفظة (جاءت، وجاءته) المتصل بالبشرى في المرات الثلاثة الواردة في سورتي هود والعنكبوت، دون مترادف لغويّ آخر مثل (أتى)، يؤكد المعنى السابق، لوجود فرق دقيق بين اللفظتين. يقول الراغب في مفرداته: "الإتيان مجيء بسهولة، ومنه قيل للسيل المارّ على وجهه: أتيّ وأتاويّ ... والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعمّ، لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول"[21]، وأكّد على هذا المعنى الدكتور فاضل السامرائي[22]. وهذا المعنى يشير إلى بشارة جاءت بعد جهد ومشقة، وهي البشارة بالنجاح بإحراز العلامة التامة، حيث جاء هذا النجاح بعد مكابدة وعناء وشدة ومشقة.

ويرى الدكتور أحمد الكبيسي أن (أتى) تستخدم لأول الوصول من بعيد، حيث لا يعرف الآتي من أين غالباً، وهي تكون في نطاق ما يلوح ولمّا يصل بعد. على عكس جاء التي تعني الاقتراب وتستخدم عند قرب المجيء[23]. وعلى هذا المعنى، فإنّ قوله: (جاؤوا بالبشرى) و(جاءته البشرى) يدلّ على أنّ الأمرَ كان فورياً، ولن ينتظر التحقق بعد حمل وولادة، إذاً لكان أليق أن يُقال (أتت) لا (جاءت). إلا أن يعترض معترض فيقول: إن البشارة من الله حتى لو كانت بعد مدّة فهي

المنارة للاستشارات
ww

لتأكيدها فكأنما حلّت الآن، وهذا كلام صحيح، لكن يبقى المعنى الأول فيه دليلٌ على بشرى فورية لا متأَمَّلة، حتى وإن لم يكن ثمة شك بتحققها لأنها من الله تعالى.

الاستنتاج: فإذا كان هذا هو معنى البشرى أثناء زيارة الملائكة لآل إبراهيم عليهم السلام، وتبشيرهم حينها لهم بإسحاق عليه السلام، فإنّ هذا كان بعد امتحان الذبح، فعلم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.

المطلب الثاني: أجر إبراهيم عليه السلام في الدنيا ودلالة ذلك على تعيين الذبيح

من كرامة الله عزّوجلّ لإبراهيم عليه السلام أن عجّل له أجره في الدنيا دون أن ينقص ذلك من أجر الآخرة، قال تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [العنكبوت: 27]. وقال تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النحل: 122]. ولمّا كان معلوماً من سيرة إبراهيم عليه السلام مروره بابتلاءات كثيرة، فأين هو أجر الدنيا وأين هي حسنتها؟!

يمكن ملاحظة هذا الأجر وهذه الحسنة فيما يأتي:

أولاً: حسن الثناء عليه استجابة لدعوته: ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ**﴾ [الشعراء: 84].

ثانياً: توزيع الكرامة عليه في أبنائه جميعاً، لا أن يحتكر أحد أبنائه كل الفضل (مبشر به، وذبيح، ونبي، ويعيش لينجب)، بينما الولد الثاني ليس له من فضل إلا أنه الابن الأكبر. فهذه الحالة لا تناسب (أجره في الدنيا) و(في الدنيا حسنة)، والأنسب لذلك أن تتوزع الكرامة على ولديه، فالابن الأكبر: (كرامة زمزم، وكرامة الذبح، ثم المشاركة في بناء الكعبة)، والثاني: (نبي، من زوج عقيم وعلى كبر، ويعيش لينجب، ويحمل راية النبوة والكتاب).

ثالثاً: توزيع صفات الخير وانتقالها لولديه بالتساوي. فقد بيّن القرآن الكريم صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي: (حنيفاً مسلماً، أواه، منيب، الرشد، أمّة) وهذه الصفات تتوزع بالتساوي على ولديه: إسماعيل واسحق عليهما السلام، وذلك على النحو الآتي:

(إبراهيم): حليم + صدّيق / (إسماعيل): غلام حليم + صادق الوعد

(إبراهيم): أولي الأيدي والأبصار+ لسان صدق عليا / (إسحق): أولي الأيدي والأبصار+ لسان صدق علياً.

المنارة للاستشارات
ww

وهكذا تنتقل صفات الخير والصلاح- إضافة إلى النبوة- في الذرية جميعاً وبالتساوي، ليرى الأب النبي عليه السلام خليل الله، نفسه وجهاده ودعوته (وهو الأمّة) في ولديه وبالتساوي.

رابعاً: التناسق العددي- مرة أخرى- يؤكد فكرة العدالة في توزيع الكرامة والفضل على الولدين معاً. فقد وجد الباحثان أن إبراهيم عليه السلام اشترك ذكره مع ولديه إسماعيل وإسحاق في خمسة (5) مواضع من القرآن الكريم، مع ملاحظة اقتران اسم يعقوب بأبيه إسحاق عليهم السلام أجمعين، وذلك في: (البقرة: 133، 136، 140) و(آل عمران: 84) و(النساء: 163)، والعجيب أن إبراهيم عليه السلام قد اشترك في آية مع إسماعيل عليه السلام في مرتين، هما: (البقرة: 125، 127)، بينما اشترك مع ولديه إسحاق وابنه يعقوب عليهم السلام أجمعين في سورة ثلاث (3) مرات في: (يوسف: 6، 38، 45). وهكذا تصبح المعادلة:

(2) اشتراك مع إسماعيل + (3) اشتراك مع (إسحاق ويعقوب) = 5، وهو عدد اشتراك إبراهيم مع إسماعيل وإسحاق ويعقوب. وكان(3) في جهة إسحاق لأن معه (يعقوب).

وهذه اللطيفة العددية الحسابية تعزز فكرة توزيع الكرامة بأجر الدنيا وحسنتها لإبراهيم عليه السلام في ذريته جميعاً، مما يرجح أن الحليم الذبيح هو إسماعيل مقابل العليم النبي إسحاق عليهم السلام أجمعين.

المطلب الثالث: ارتباط قصة الذبح بالإسلام ودلالة ذلك على تعيين الذبيح

ويتضح هذا الارتباط ودلالته من خلال الأمور الآتية:

أولاً: يقول الله عز وجل: ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ [الصافات: 113]، حيث استدل القائلون بأن إسماعيل عليه السلام هو الذبيح بهذه الآية على اعتبار أن ضمير (عليه) يعود على إسماعيل لا على إبراهيم عليهما السلام. ويرى الباحثان الرأي ذاته، مع مزيد من الاستدلال على صحته[24].

ثانياً: يقول الله عز وجل: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾ [البقرة: 124] بعد أن حملت الملائكة البشرى لإبراهيم عليه السلام بنجاحه في كافة الامتحانات، واصطفاء الله له إماماً للناس، تتوق نفس النبي خليل الله، وقد رأى كرامة ولده البكر بزمزم والفداء، ثم ببشارة الملائكة بولده الثاني النبي

المنارة للاستشارات
ww

أيضاً، تتوق نفسه أن تحمل ذريته (إسماعيل وإسحاق) وذريتهما، راية الإمامة من بعده، لكنّ الله علام الغيوب يخبره أن الأمر ليس ميراثاً بل هو عهد وعمل: ﴿**قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾.

ثالثاً: يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: 33 - 34]. يقول الرازي: "إن الله سبحانه وضع كمال القوة الروحية في شعبة معينة من أولاد آدم عليه السلام، هم شيث وأولاده إلى إدريس، ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم، ثم حصل من إبراهيم شعبتان: إسماعيل وإسحاق، فجعل إسماعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم، وجعل إسحاق مبدأ الشعبتين: يعقوب، وعيصو، فوضع النبوة في نسل يعقوب، ووضع الملك في نسل عيصو، واستمر ذلك إلى زمان محمد صلى الله عليه وسلم، فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم: نُقل نور النبوة والملك إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبقيا لأتباعه إلى يوم القيامة، ومن تأمل في هذا الباب وصل إلى أسرار عجيبة"[25].

وهذا كلام يسجل بماء الذهب، وبالتأمل فيه مع الرازي وربطه بالمسألتين السابقتين، ترتسم للباحثيْن قصة الإسلام من جذورها: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران: 19]. والإسلام دين الأنبياء جميعاً به بعثوا وبه أوصوا أتباعهم وذرياتهم: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 132].

لكن الله عزّ وجلّ الأعلم حيث يجعل رسالته، ادّخر شرف اسم (الإسلام) الذي هو دين الله، ودين الأنبياء جميعاً ودين أتباعهم، لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، لتُسمّى به، فتصبح الأمة المسلمة، حاملة رسالة الإسلام إلى العالمين: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾[26] [الحج: 78].

راية الإسلام حملها أبناء إسحاق نبوة وملكاً[27]، فانحرفوا وعصوا وصية الآباء: ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة: 133]. فكذبوا وبدّلوا وانحرفوا واتبعوا الهوى، وأبوا أن يرتفعوا بآيات الله فانسلخوا منها، فاستحقوا حكم السماء العادل بأنهم (المغضوب عليهم) و(الضالين)[28]، فعرفنا أنهم الظالمون الذين عناهم

المنارة للاستشارات
ww

الله عزّ وجلّ في قوله لأبيهم عليه السلام عندما طلب الإمامة لهم: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾. فعهد الله بإمامة الدين ووراثة النبوة والملك في ذرية إبراهيم عليه السلام سيدّخره لأمة ستولد من بعد، وقد دخل غيرها الامتحان ففشل فشلاً ذريعاً رغم كل الفرص. وفي احتفاء علوي يشهده الملأ الأعلى يستلم نبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم راية الإسلام من الأنبياء جميعاً حين صلّى بهم عليهم السلام، ولأمر ما كانت هذه الصلاة في المسجد الأقصى بعد رحلة الإسراء من مكة في طريقه إلى السماء، لما لهذا المسجد من خصوصية في صراع الحق والباطل. وهكذا تستلم الأمة المسلمة راية الإسلام، وتتمثل فيها تعاليم الإسلام (استسلاماً وفداءً).

إن هذا الاستسلام وهذه التضحية وهذه الفدائية ورثتها من عمق التاريخ، من لحظة: ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ [الصافات: 103] استسلامٌ وفداء، ظل ينتقل في أصلاب الرجال حتى تجسدّ في نبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم، لتتمثله أمته من بعده. وهكذا يرتسم المشهد كله وتتضح معالم القصة الكاملة:

إبراهيم عليه السلام يرث راية الإسلام من الأنبياء، وحتى يكون أهلاً لإمامة الناس، يتعرض لأصعب الامتحانات، ويخبئ الله عزّ وجلّ له أصعبها بعد أن ينيله مراده ودعوته على كبر وغربة ووحدة، فيهبه ابنه الأكبر الذي يريه كرامته فيه بتفجير زمزم من تحت قدميه، حتى إذا ما بلغ معه السعي غلاماً يرجوه للدين والدنيا، يؤمر بذبحه في اختبار البلاء المبين. فينجح وولده الحليم إسماعيل نجاحاً تاماً، فيكون الفداء.

ثم يعود لزوجه العجوز العقيم ولعله يحدثها بما كان فيذهب ما في نفسها من غيرة لما رأت من كرامة ابن ضرتها، فتكون الجائزة لها بشارة. وتكون (البشرى) لإبراهيم عليه السلام أن قد وفيّت وأتممت، فهاك راية الإمامة. فيدعو أن تظل في ذريته: الأكبر المفدّى، والأصغر النبي، فيكون الجواب: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾. ويخبرنا القرآن أن من ذريتي هذين النبيين الكريمين محسن وظالم لنفسه مبين. ففي كليهما: سيكون ثمة محسن، وفي كليهما سيكون ثمة ظالم. لكن الترتيب القرآني في الآية له دلالته: ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾) [الصافات: 113].

المنارة للاستشارات

أجل، سيُعطى أبناء إسحاق الفرصة فلا يزدادون إلا ظلماً، ويخرجون من كل هذه الاختبارات بشهادة (المغضوب عليهم) و(لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) و(الضالين)، وينال شهادة (المحسن) بعد قرون، خاتم الأنبياء صلى الله عليه السلام وأمته، أبناء إسماعيل صاحب: (ﷺ)، فحق لذريته أن تكون أمة الإسلام وحاملة رايته ليتجلى فيها الإحسان[29].

فهذا هو الارتباط بين: (هو سمَّاكم المسلمين) وبين: (فلمَّا أَسلَمَا)، وهذه دلالته على تعيين الذبيح، وأنه إسماعيل عليه السلام.

والحقيقة أن المسلمين لا فرق لديهم من الناحية العقدية أن تكون كرامة الذبح لإسماعيل أو لإسحق عليهما السلام، فكلاهما نبي كريم، ولكن القرآن الكريم أبهم هذا الأمر، ليدفعنا نحو البحث والتدقيق، وحتى نصل بعد النظر المتأني والعميق والفاحص لكل الآيات، أن اليهود محرفون وكذابون، ويحسدون هذه الأمة حتى قبل أن تولد، ويريدون احتكار خير الدنيا كما ادّعوا احتكار خير الدين: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ [المائدة: 18]، ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً**﴾ [البقرة: 80]، فينتبه المسلمون لخطر هؤلاء الخفي ومكرهم غير المرئي.

فإبهام الاسم إذاً تدريب للعقل المسلم على كشف تحريف وزيف اليهود، ذلك أن المعركة معهم طويلة وستتجدد في جولات مستمرة عبر التاريخ، فلا بدّ أن تتدرب الأمة على اكتشاف هذا المكر وتلك الخطط، فكما أن حقيقة الذبيح خفية غير ظاهرة وتحتاج إلى بحث وتدقيق، فكذلك عداء اليهود لهذه الأمة ومكرهم بها، سيأخذ أشكالاً من المكر الخفي والتخطيط المستمر، وعلى الأمة اكتشافه وكشف الحقيقة لمواجهة هذا الخطر.

وهكذا يرى الباحثان في الحكمة من عدم تعيين الذبيح في القرآن الكريم، الحلقة الأخيرة من سلسلة قصة الإسلام في صراع الحق والباطل، الحلقة التي يتدرب فيها العقل المسلم على كشف ما هو مخفي فيما يخص تحريف اليهود وكذبهم، ليتدرب على كشف خططهم الخفية التي لا تتوقف في العداء والكيد به.

ويمكن رسم المشهد الذي تناوله الباحثان في المبحث الثاني كاملاً، في المخطط الآتي:

المنارة للاستشارات
ww

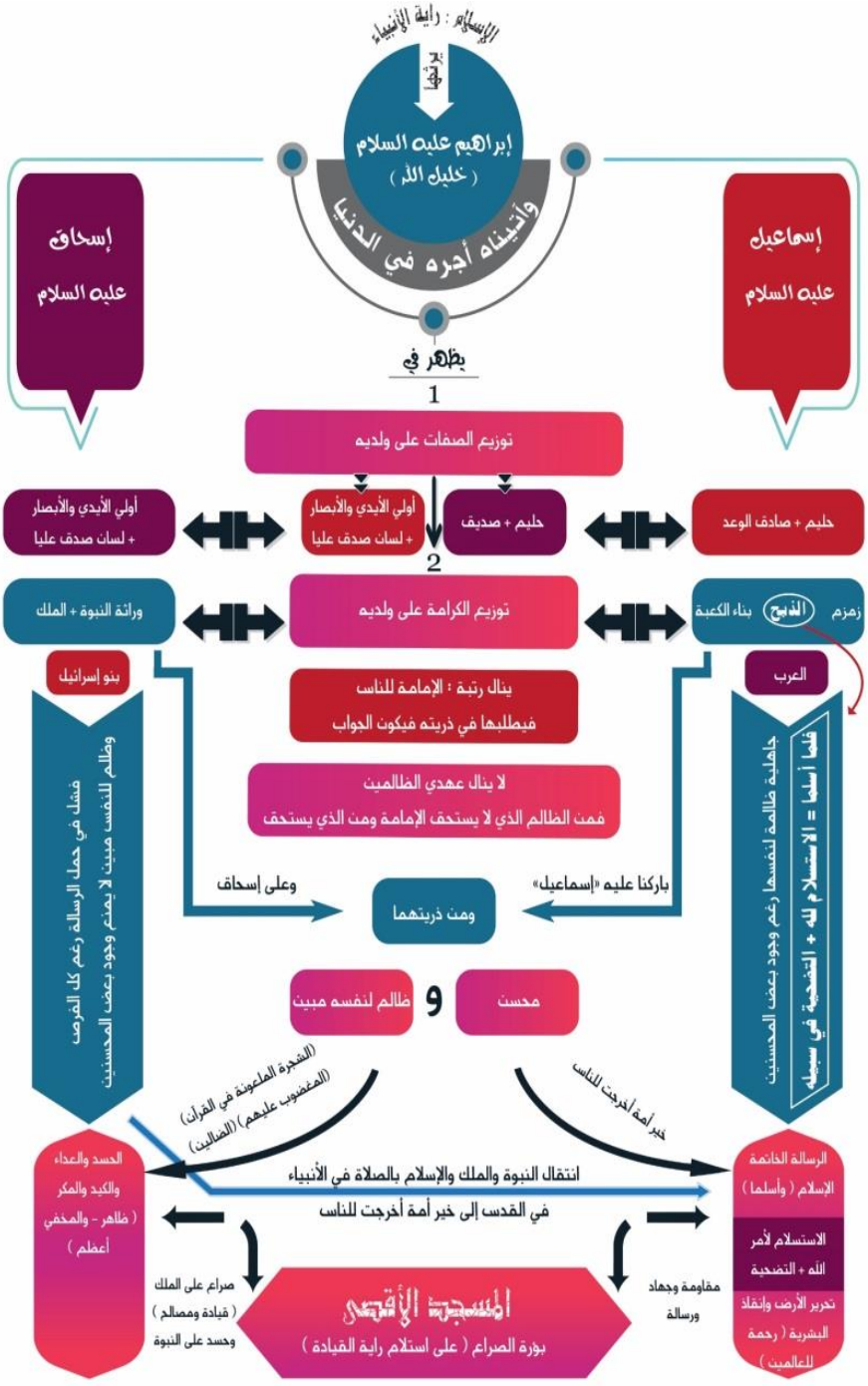

المنارة للاستشارات
ww

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة التدبرية في ظلال القرآن، خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. مسألة تعيين الذبيح الذي أبهم القرآن اسمه اختلف فيها السابقون، وترجح للباحثيْن صحة رأي القائلين بأنه إسماعيل عليه السلام.
2. أعاد الباحثان النظر في القرآن استقراءً وتحليلاً فاهتديا بهدايات جديدة قادتهما إلى مزيد من الأدلة اللافتة والمتنوعة تؤكد النتيجة ذاتها.
3. باستقراء الآيات القرآنية تبين للباحثين أن الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام هو إسماعيل، وهو الذي أُمر بذبحه. وبعد جمع صفات النبيين الكريمين إسماعيل وإسحاق في القرآن الكريم، تبين للباحثين صِلة صفتيْ: الصبر وصدق الوعد، اللتين وصف بهما إسماعيل عليه السلام، بقصة الذبح.
4. دلّ التناسق العددي في عدد مرات ذكر كل من النبيين الكريمين إسماعيل واسحق عليهما السلام، وعدد البشارات بهما، إلى تأكيد النتيجة ذاتها.
5. الهدايات القرآنية في قصة الذبح، قادت الباحثيْن لرسم مشهد قصة الإسلام في صراعه مع الباطل متمثلاً باليهود، الذين يعادون الإسلام عن حسدٍ لا يرجى شفاؤه، وبمكرٍ تلزم الحيطة منه.
6. الإسلام هو إرث هذه الأمة ورايتها التي تسلّمها نبيها صلى الله عليه وسلم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- في المسجد الأقصى، الذي يشهد في هذا الزمان ذروة صراع الحق والباطل على راية الإمامة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس ت: 728هـ: مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، 1995م).
2) ابن حجر، العسقلاني ت: 852هـ: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار المعرفة، 1379هـ).
3) ابن عاشور، محمد بن الطاهر، ت: 1339هـ: التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية، 1984م).

المنارة للاستشارات
ww

4) ابن هشام، عبد الملك بن هشام ت: 213هـ: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، 1375هـ، 1955م).
5) أحمد، أحمد بن حنبل ت: 241هـ: المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م).
6) الإشبيلي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعاقري ت: 543: تبيين الصحيح في تعيين الذبيح، تحقيق: بدر الطبخي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1428هـ-2007م).
7) الألوسي، شهاب الدين الحسيني ت: 1270هـ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عطية (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
8) البخاري، محمد بن إسماعيل ت: 256هـ، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).
9) دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، تحقيق أحمد فضيلة (القاهرة، دار القلم للنشر والتوزيع ط10، 1429هـ، 2008م) .
10) الرازي، أبو عبد الله فخر الدين، ت: 611هـ: مفاتيح الغيب، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
11) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسن بن محمد ت: 502هـ: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان داودي، (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط1، 1412هـ).
12) الزمخشري، جار الله أبو القاسم ت: 538هـ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).
13) السامرائي، فاضل صالح: من أسرار البيان القرآني، (دار الفكر، ط1، 1430هـ، 2009م).
14) السليمان، سليمان بن عبد العزيز: أضواء المصابيح لكشف الذبيح، (بحث محكم لمجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الاسلامية) مجلد 29، عدد2.
15) الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ: تاريخ الرسل والملوك، (بيروت، دار القرآن، ط2، 1387هـ).
16) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م).
17) الفراهي، عبد الحميد: الرأي الصحيح في من هو الذبيح (دمشق، دار القلم، ط1، 1418هـ).
18) القشيري، عبد الكريم بن هوازن ت: 465هـ: لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر، الهيئة العامة للكتاب ط3).
19) الكبيسي، أحمد: برنامج الكلمة وأخواتها: youtube.com/watch?v=wwzukx1r5x2e
20) الماوردي، أبو الحسن البغدادي ت: 450هـ: النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد الله (بيروت، دار الكتب العلمية).

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش:

1 انظر: الإشبيلي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعاقري ت: 543هـ، تبيين الصحيح في تعيين الذبيح، تحقيق: بدر الطبخي، (بيروت: دار ابن حزم، ط1، 1428هـ- 2007م). الفراهي، عبد الحميد ت: 1349هـ، الرأي الصحيح في مِن هو الذبيح (دمشق: دار القلم، ط1، 1418هـ). السليمان، سليمان بن عبد العزير، أضواء المصابيح لكشف الذبيح، مجلة جامعة الملك سعود- العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، مجلد19، عدد2، 2006م، ص611-683.

2 الطبري، محمد بن جرير ت: 310هـ، تاريخ الطبري، (بيروت: دار القرآن، ط2، 1387هـ)، ج1، ص263.

3 الفراهي: الرأي الصحيح في من هو الذبيح، ص79. وانظر: الرازي، أبو عبد الله فخر الدين ت: 606هـ، التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج26، ص347.

4 معلوم أن القرآن الكريم حين ينقل عبارة ما على لسان قائلها إنما يصوغها وفق أسلوبه البلاغي ونظمه المعجز، فلا تكون هي العبارة التي قيلت بنصها، بل بمعناها الحرفي. والمفترض أن تكون عندما قيلت على لسان قائلها أكثر عدداً وأضعف تركيباً، فيأتي القرآن فيصوغها بعبارته المعجزة لتؤدي كلّ المعنى بأقل العبارات، وهل البلاغة إلا: القصد في اللفظ مع التمام في المعنى؟

5 ملاحظة: في جميع القرآن لا توجد آية ذكرت اسم أحد النبيين الكريمين عليهما السلام مرتين في الآية نفسها. فعند القول إن النبي الكريم عليه السلام ورد اسمه في هذه السورة مرتين، فهذا يعني أن ذلك كان في آيتين أيضاً. فعدد مرات الورود يساوي عدد الآيات.

6 الآية 53

7 الآية 28

8 الآية 71.

9 الآية 112.

10 لكنها ذكرت في الحديث الصحيح. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ)، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: "واتخذ الله ابراهيم خليلاً"، رقم3364، ج4، ص144.

11 ينظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله ابراهيم خليلاً"، رقم 3364، ج4، ص144.

12 دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، تحقيق: أحمد فضلية، (القاهرة: دار القلم، ط10، 1429هـ -2008م)، ص146.

13 استدل القائلون بأن الذبيح هو إسحاق عليه السلام بحديث البخاري الذي يذكر قصة زمزم، بأن الحديث لم يذكر أن إبراهيم عليه السلام قد زارهم بعدها إلا ثلاث مرات وذلك بعد موت سارة وزواج إسماعيل. ينظر الحديث في: صحيح البخاري، رقم3364، ج4، ص142. ورد مخالفوهم أن ذكر الزيارة ثلاث مرات لا يعني أنه لم يزرهم غيرها. ينظر: ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني، ت852هـ: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، 1379هـ)، ج6، ص404. ويرى الباحثان أن مفهوم

المنارة للاستشارات

الحديث يشير إلى عكس ما استدل به المستشهدون به، فليس من المعقول أن يتدخل إبراهيم عليه السلام في أخص خصوصيات ولده وينقل له رسالة تلميحية على لسان زوجته بأن يغير عتبة بابه، ثم يفهمها الابن وينفذها في المرتين: تطليقاً لزوجته الأولى ومحافظةً على الثانية، بينما لا توجد أية معرفة أو علاقة بين الابن وأبيه الذي تركه رضيعاً وماتت أمه دون أن يراه، حتى إذا جاء يسأل عنه لم يجده فأوصله تلك الرسالة، ففهمها ونفذها! إنه لا بد أن تكون بين الأب وابنه علاقة وطيدة جداً، تشير عبارات نهاية الحديث: "إن الله أمرني بأمر" ويجيب الابن: "فاصنع ما أمر ربك"، إلى التشابه التام مع العبارة القرآنية في وصف مشهد الذبح: "يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر" [الصافات: 103]، الأمر الذي يجعل الحديث دليلا على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق عليهما السلام.

14 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج12، ص116.

15 انظر: الطبري: جامع البيان، ج21، ص273. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البغدادي، ت450هـ: النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد الله، (بيروت، دار الكتب العلمية) ج2، ص482. القشيري، عبد الكريم بن هوزان، ت465هـ: لطائف الإشارات، تحقيق: ابراهيم البسيوني، (مصر: الهيئة العامة للكتاب، ط3)، ج2، ص145. الزمخشري، أبو القاسم جار الله ت: 538هـ: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج2، ص256. الرازي: مفاتيح الغيب، ج26، ص436. الآلوسي، شهاب الدين محمود، ت1270هـ: روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج6، ص209. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص365.

16 وردت في موضعين في سورة هود (69، 74)، وموضع في سورة العنكبوت (31).

17 ينظر على سبيل المثال: الطبري: جامع البيان، ج21، ص273. الرازي: مفاتيح الغيب، ج26، ص436. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج23، ص365.

18 ينظر: الطبري، جامع البيان، ج15، ص140. الزمخشري: الكشاف، ج2، ص256. الرازي، مفاتيح الغيب، ج17، ص277.

19 الآيتان: 69، 74.

20 الآية: 31.

21 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم حسين بن محمد، ت502هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان داودي، (دمشق: دار القلم، ط، 1412هـ)، ص60.

22 السامرائي، فاضل صالح، من أسرار البيان القرآني، (دار الفكر، ط1، 1430هـ- 2009م)، ص40-43.

23 الكبيسي، أحمد: برنامج الكلمة وأخواتها، حلقات مسجلة يوتيوب على الرابط:

youtube.com\watch/? V= wwzukx 1r5x2E

24 ينظر: الفراهي: الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، ص87. ويضاف إلى أدلته القوية: قوله سبحانه: ((وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)) [العنكبوت: 27]، فذرية ابنيه هي ذريته، فلم يقل: في ذريتيهم أو ذرياته، فلو كان ضمير (عليه) في الصافات عائداً على إبراهيم لما قال: ذريتهما. وكذلك: ((ومن ذرية

المنارة للاستشارات

إبراهيم وإسرائيل)) [مريم: 58]، وكذلك حين قال على لسان إبراهيم وإسماعيل: ((ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)) [البقرة: 128]، فهي ذرية واحدة، إذ ذرية الابن هي ذرية أبيه، فلما قال في الصافات: ((ومن ذريتهما)) عُلم أن الضمير ليس عائداً على إبراهيم بل على إسماعيل، الغلام الحليم المبشر به في الآيات السابقة.

25 الرازي، مفاتيح الغيب، ج8، ص200-201.

26 معظم المفسرين يردون الضمير في اسم الإشارة (هو) إلى الله عز وجل. ينظر: الطبري: جامع البيان، ج18، ص692. الرازي: مفاتيح الغيب، ج23، ص256. ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج17، ص351.

27 ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب، ج8، ص200-201.

28 ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى. ينظر: أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، (مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م)، حديث رقم (19381)، ج32، ص 123.

29 حين نقول: إن (محسن) تنطبق على ذرية إسماعيل (أتباع محمد صلى الله عليه وسلم) فهذا وصفهم الغالب، ولا ينافيه وجود ظالم لنفسه مبين بينهم. والعكس صحيح في ذرية إسحاق عليه السلام.

المنارة للاستشارات
ww